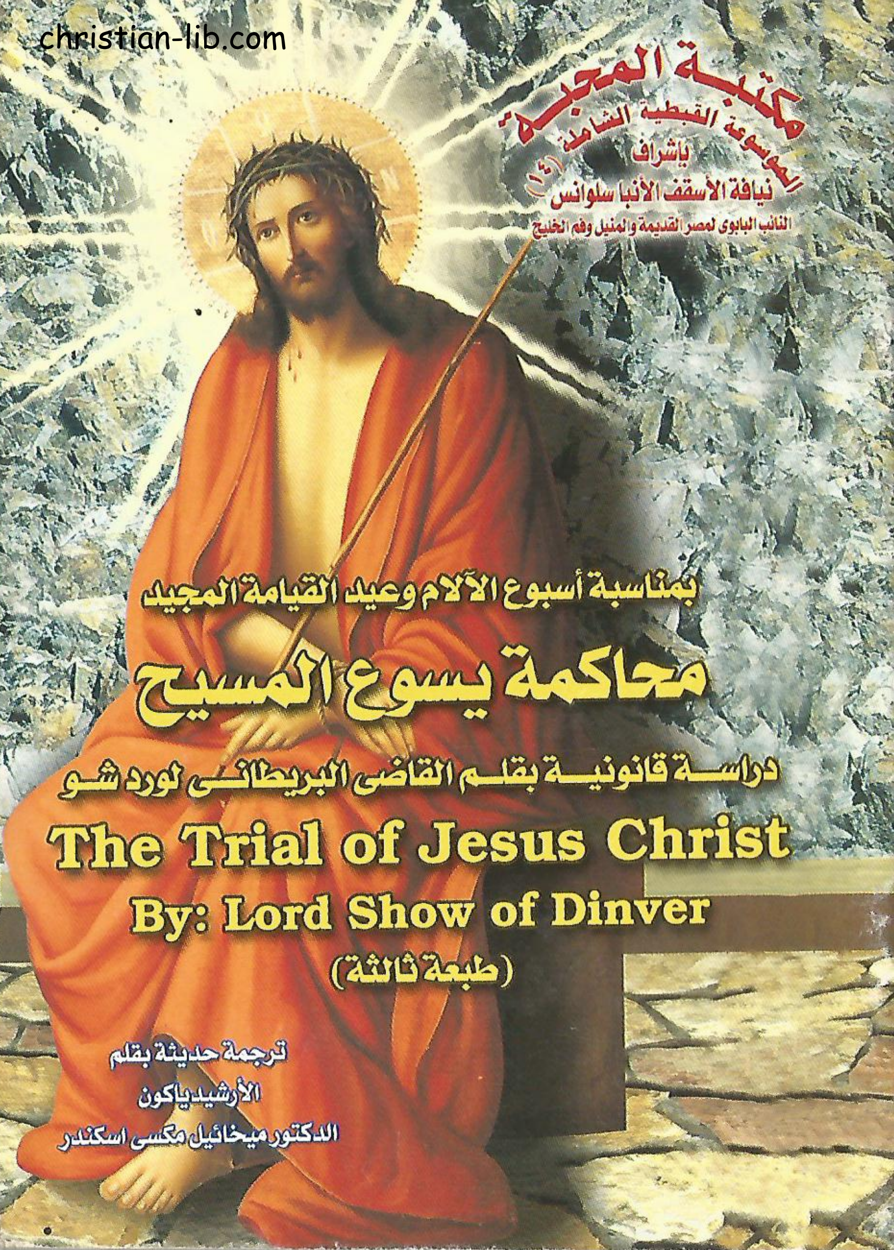


christian-lib.com
مكتبة المحبة
الموسوعة القبطية الشاملة
بإشراف
نيافة الأسقف الأنبا سلوانس
النائب البابوى لمصر القديمة والمنيل وفم الخليج
بمناسبة أسبوع الآلام وعيد القيامة المجيد
محاكمة يسوع المسيح
دراسة قانونية بقلم القاضى البريطانى لورد شو
The Trial of Jesus Christ
By: Lord Show of Dinver
(طبعة ثالثة)
ترجمة حديثة بقلم
الأرشيدياكون
الدكتور ميخائيل مكسى اسكندر

مكتبة المحبة

الموسوعة القبطية الشاملة (١٤)

بإشراف نيافة الأنبا سلوانس

النائب البابوى لمصر القديمة والمنيل

بمناسبة أسبوع الآلام وعيد القيامة المجيد

محاكمة يسوع المسيح

دراسة قانونية بقلم القاضى البريطانى لورد شو

The Trial of Jesus Christ

By: Lord Show of Dinver

(طبعة ثالثة)

ترجمة حديثة بقلم

الأرشيدياكون

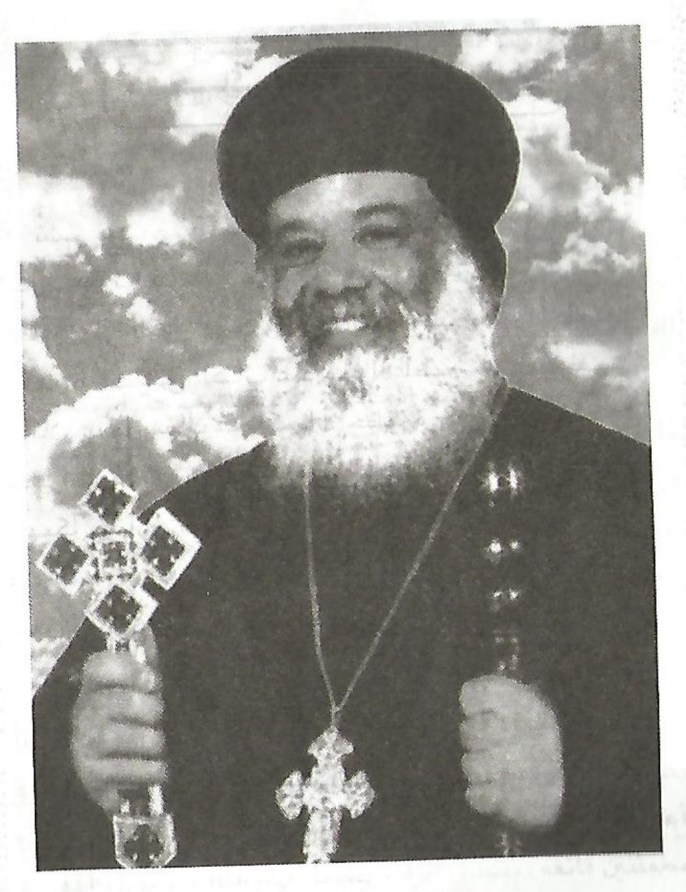
الدكتور ميخائيل مكسي اسكندر

إسم الكتاب : محاكمة السيد المسيح
اعداد : أرشيدياكون د. ميخائيل مكس اسكندر
الناشر : مكتبة المحبة
جمع تصويري : ريمنتيكو ٠١٢/٦٤٨٨٨٩١
المطبعة : شركة هارموني للطباعة ت: ٦١٠٠٤٦٤
الطبعة الثانية



صاحب القداسة
الأنبا شنوده الثالث بابا الإسكندرية
وبطريرك الكرازة المرقسية





نيافة الحبر الجليل الأسقف العام

الأنبا سلوانس

النائب البابوى لمصر القديمة والمنيل



محاكمة يسوع المسيح

مقدمة:

نُشرَ منذ بضعة سنوات كتاب هام بعنوان «المحاكمة التاريخية» تأليف سير جون ماكدونل وهو من مشاهير علماء القانون فى القرن ٢٠م. والمؤلف أحد أصدقائى المخلصين، ولقد أطلعت على الكتاب عند مثوله للطبع. فحدثتُ نفسى قائلاً... أجل هناك محاكمات خطيرة - مثل محاكمات سقراط وبرونو وسرفتتوس وجاليليو وجان دارك وفرسان الهيكل ومارى ملكة ايقوسيا، ولكن أين أجلُ المحاكمات وأعظمها أثراً فى تاريخ القضاء، بل في التاريخ الإنسانى كله، وهى محاكمة ربنا يسوع المسيح.

لعل المؤلف لم يذكرها اكتفاء بما كتبه عنها المرحوم تيلور إينس. فهذا المُشرّع الكبير، درسها دراسة دقيقة، ببراعة فائقة منذ أوائل القرن العشرين، وكان إينس صديقي كذلك، ولاشكَّ لدى أن هذين المفكرين الكبيرين لابُد أن يكونا متفقين فى هذا الموضوع القانوني الخطير.

أما أنا فالبرغم مما كُتب عن هذه المحاكمة وعلى كثرته، فمازلتُ أقول بصحة أراء إينس وسلامتها من الخطأ فى

مجملها . ويجب للباحث فى محاكمة يسوع أن يبتعد عن الانفعالات النفسية، ويتجرّد من الاعتبارات الشخصية، ويلقى جانباً ما أثارته هذه المحاكمة الفظيعة من عواطف الأسى نحو الشخص العظيم الذى حمل أعباءها بصبر وشجاعة. ثم يجب أن لا تنفر نفوسنا من تلك الاوضاع القديمة، التى تغرينا على الاستياء منها، عند المقابلة بينها وبين الاوضاع القانونية الحديثة والأكثر رفقاً ومدنية.

وتستلزم دراسة هذه المحاكمة، الاعتقاد بصحتها وصحة ما كتبه الانجيليون عنها. والتسليم كذلك بصحة ما ورد عنها فى كتب أخرى، بالرغم من الشكوك التى حاول فريق من الناس إقامتها دليلاً على عدم صحة الفقرة الواردة عن المسيح فى كتاب تاسيتوس المؤرخ الرومانى. فقد قيل إنها دست فى الكتاب المشار إليه، بل قيل إن الكتاب كله من وضع رجل إيطالى اسمه بوجيو براكليونى.

ويجب أن نقرأ المحاكمة فى الأناجيل الاربعة، ونفحصها بعناية، كما فعل تيلور إينس، ثم نضم إليها ما جاء عنها فى أعمال الرسل، ولاشك أننا نخرج - عقب هذه الدراسة - مطمئنين قانعين بصدق الوقائع معجبين بصحتها، كما يعجب كل قاضٍ عادل، مارس تمحيص وفحص الأدلة، والتمييز بين الصحيح منها والزائف فعلاً.



• والحقيقة المشتركة بين الانجيليين تتلخص فى العبارة الآتية:

"بالرغم من الخلاف الكبير فى أساليب التعبير، أو سرد الحوادث، أو العناية التى يُبديها أحدهم عند تسجيله أمراً معيناً ولا يبديَها الآخر، تبعاً للأثر الذى يتركه هذا الأمر في ذهن الكاتب له، أو المتأمل فيه. فالحقيقة الخالدة لا تزال صافية فى جوهرها، وتدعو للثقة فى صدقها.

وإن السذاجة التى تُروَى بها هذه الحوادث الخطيرة تأسر الألباب، وتملأها بالروعة والإعجاب، وتطبّعها بطابع ثابت لا يُمحَىء. فهى قصة واقعية، لأعظم مأساة سجلها التاريخ في العالم كله.

وقد وقعت المحاكمة على وجهين وتبعاً لنظامين قضائيين، لا رابطة بينهما، ولكل منها إجراءات خاصة دقيقة، يجب الإحاطة بها.

اجتمعت فيهما الشريعتان اليهودية والرومانية، فالاولى أقدمهما عهداً وأكثرهما صرامة فى إجراءاتها وقيودها.

وأحاطت الشريعة اليهودية محاكمة المتهم فى جرائم الاعتداء على النفس بسياج مُحكّم. فكانت الإجراءات عنيفة وقاسية، تجنباً للخطأ الذى يجوز أن تتعرّض له حياة المتهم.

ونعرض أمام القارئ صورة من الأحتياطات التى كانت تُتبَع فى "محاكمة اليهودية" أثناء العصر السابق للغزو الرومانى لفلسطين، وسيظهر له منها قدسية حياة المتهم.

كانت القوة التنفيذية كلها -فى ذلك العصر- بيد اليهود. أما التنفيذ الشائع لديهم ضد المحكوم عليه بالموت. وهو الرجم بالاحجار، حتى تُزهق روحه. وكانت هناك أساليب أخرى لم يكونوا يلجأون إليها إلا نادراً، مثل الخنق، وفصل الرأس، أو التغريّق فى الماء. أما الصلّب فلم يكونوا يلجأون إليه، بحال من الاحوال. ثم أن التنفيذ بالإعدام فكان خاضعاً لقيودٍ دقيقة، ونقرأ الفقرة الآتية من "المشنا" وقد أوردها اينس فى كتابه:

«فى هذه الأثناء يقف ضابط على باب المحكمة ويُمسك منديلاً بيده، ثم يمتطى ضابط آخر جواداً ويتبع موكب المحكوم عليه، وانما يقف بعيداً عنه على أقصى مسافة تمكنه من رؤية الضابط الحامل للمنديل، فإذا كان لدى أى انسان دليل على براءة المحكوم عليه جاز له أن يُحرّك المنديل الذى يحمله الضابط الأول ،فيُسرع الضابط الفارس فى اقتفاء اثر المحكوم عليه ويعود به للدفاع عن نفسه".

أما الشريعة الرومانية فكانت (فى العصر الامبراطورى

كما كانت فى العهد الأخير من الجمهورية) مصوغةُ فى أجمل نظام ابتكره أقدر وأمهر مشرّعِى العالم. فكان هذا النظام البارع الاساس الذي قامت عليه أعظم الشرائع الإنسانية. ولقد تجلت فى الشريعة الرومانية قواعد العدالة متمثلة فى الأوضاع الخارجية البديعة، فأشبهت فى ذلك البناء القائم على الصخور. ثم أن الأحكام القضائية الرومانية وحدَث بين أجزاء الامبراطورية وربطتها برباط وثيق.

وكان كلما ازداد سلطان روما سعة ونمواً إزدادت الوحدة الامبراطورية، حتى شملت معظم العالم المتمدين؛ وكانت قوتها تستند الى العبقرية التشزيعية أكثر من إستنادها علي سلاح جنودها.

ولنبدأ إذن فى سرّد ماحدث فى تلك المحاكمة التاريخية الكبرى. ولا نتعرض هنا لمشروعية أمر القبض على المسيح فى بستان جثسيمانى (علي جبل الزيتون، شرق القدس). إذ أنه كان من اختصاص السنهدريم، بل من مستلزمات السلطة الجنائية الممنوحة له.

وكان السنهدريم - أو المجلس العام - يتكوّن من واحد وسبعين عضواً وتتألف لجنته العُليّا، أو دائرته الداخلية، من



ثلاثة وعشرين شخصاً. ومع أن منطقة اليهودية كانت ولاية رومانية فقد اقتضت عدالة روما أن تكون لها حكومة ذاتية من النوع الدينى أو الإلهى (الثيوقراطى) وكان رئيس هذا المجلس الحبر الاعظم (رئيس الكهنة) واسمه فى عهد تلك المحاكمة "قيافا".

وكان المجلس يضم زعماء الفريقين الدينيين لليهود، وهما الفريسيون والصدوقيون، وكان يسير فى أحكامه على تقاليد شريعة لها المنزلة العلّيا من الاحترام. ثم جُمِعَت أخيراً فى السنوات السابقة للمحاكمة فى كتاب "**التلمود**" وكان "المشنا" أهم أجزاء الكتاب لإحتوائه على التقاليد المعمول بها فى بدء العصر المسيحى.

وسلّم يسوع أحد أتباعه(يهوذا الاسخريوطى) ومن ثم سهُّل القبض عليه واشترك فى تسليمه بعض الزعماء من الكهنة الذين كان يتألف منهم مجمع السنهدريم، ثم كان هذا التسليم من الأمور المعيبة التى لا يكمن تبريرها. فقد كان مقروناً بالرشوة. ولو كان القضاء اليهودى أدق ما كان عليه. وتوافرت فيه درجات المحاكمة، ومراجعة الأحكام لقضى ببطلان الأجراءات جميعها. أما والسنهدريم وهو المحكمة العليا، فلم يكن يجوز التعرُّض لأحكامه بالإلغاء أو النقض.



من هو المتهم؟ سؤال يجب أن نكون عند الإجابة عليه جد حريصين حتى لا تحوُل عواطفنا دون تمحيص الإجراءات القضائية بهدوء وشجاعة. فلا يجب لنا حينئذ أن نستسلم لما يملأ قلوبنا من ذكرى ذلك الشخص العظيم الذى اقترن باسمه الخالد وحوادث ميلاده وموته ومابعد موته، أسرار عجيبة، وأعمال تُؤّكد الإلوهية (الله الظاهر في الجسد).

يجب إذن أن نضبط عواطفنا ونملك مشاعرنا، حتى نستطيع إستعادة ذكرى المحاكمة، من الناحية القضائية، لأنه يتعيَّن دائماً - فى كل بحث قضائى - النظر إلى الأمر الواقع، واجتناب كل البواعث الأخرى. وهو أمر معمول به فى القضاء السليم.

كان يسوع يحترف النجارة بإحدى قُرى الجليل. ولم يبدأ تعاليمه وعظاته إلا حينما ناهز الثلاثين، وينبئنا تاريخه أنه كان يُعلّم بما اشتمل عليه وطنه. من المميزات الطبيعية، مثل البحيرات والشواطئ والحقول ورؤوس الجبال. وكان ذا قدرة باهرة على وصف جمالها، ثم أنه كان يعرف تقاليد أهل وطنه. ورأى بعينيه ماكانوا يعانونه من بؤس وشقاء ورثى لآلامهم، ولكنه استشف تحت هذا الضيق معانى روحية جليلة، استمدت منها تعاليمه قوة وسُمُّواً.



أثارت أقواله فى هذه البيئة الدينية روح العداء من المحافظين على القديم. فاستاءوا من التحليل الدقيق الجرئ الذى أمعن فيه الى دخائل وأوضاع التقاليد اليهودية، خصوصاً تلك الحملات العنيفة المتكررة على التقاليد العتيقة وما يُنسَّب إليها من الرياء المفوت.

أعلن زعماء الكهنة غضبهم من يسوع. أما هو فلم يهتم بعدائهم، وأسرَّع فى طريقه الى أورشليم، مع أنه كان متأكداً من الخطر الذى يهدد حياته.

وقع أخيراً فى قبضة أعدائه وتحت سلطانهم. فساقوه الى المحاكمة، ولا شك أنه لو كانت هناك قضية جديرة برعاية الأصول الشرعية فيها، لكانت قضيته أجدرها جميعاً بتلك الرعاية. فقد فر أتباعه هاربين. وأنكرَه أحدهم جهراً وتألبت ضده قوى التقاليد القديمة وثورة الجماهير المضطربة فبدأت محاكمته أثناء هذه الظروف المؤثرة.

وظهرت العقبة الأولى عند البدء فى المحاكمة وهى: **ما هى التهمة التى سيقدَّم من أجلها للمحاكمة؟!**

تقضى الشريعة اليهودية بأن لا يُقدّم أحد الى المحاكمة إلا إذا قامت الشهود باثبات جريمته. "فشهاداتهم بداية الاجراءات كلها، والى أن يؤدوها علانية، لا يعتبر الشخص بريئا فحسب ولكن غير مُتهمٍ أيضاً.



اختلفت الشهود واضطربت أقوالهم. ولنفرض أنهم أدوا اليمين طبقا للشريعة، فلا يفوتنا فى هذا المقام أن نأتى على النص الرهيب لهذا القسم العظيم، الذى حتمّته الشريعة فى جرائم النفس. فقد بلغ غاية القسوة والصرامة ونصه مايلي:

«لا تنسَ أيها الشاهد... أن فى هذه المحاكمة، التى تتعلق بالحياة، سيكون دم المتهم ودم ذريته الى انقضاء الزمن، فى رقبتك إذا شهدت زوراً. فالله خلق آدم وحيداً فريداً، وهو يُعلّمك بهذا: أن أى شاهدٍ يتسبّب فى هلاك فرد من اسرائيل، فكأنه أهلك العالم كله. أما من أنقذ إنساناً واحداً، فكأنه قد أنقذ العالم كله».

وكان يُشترط للبدء فى المحاكمة إتفاق شاهدين على الأقل فى الأتهام بعد أداء اليمين التى أوردنا نصها فيما سبق فيتبين حينئذ أن إتهام يسوع لم يكن قانونياً، بل لم يكن هناك ما يجب اتهامه به، حتى فى الأمر الذى كاد يتفق الشهود فى نسبته اليه. وهو قوله إنه يستطيع أن يُنقض الهيكل (المادي) ويقيمه فى ثلاثة أيام. فالمحاكمة لم تكن قائمة على الاخلال بالأمن أو الفخر الزائف ولكنها تتعلق بالحياة.

واختلف الشهود. ولم يكن هناك أمر هام من الجهة

القانونية، ولقد أدرك قيافا هذا الأمر حق إدراكه. وكذلك المجمع الذى يتولى رئياسته. ولذلك لم يعبأوا بالأوضاع القانونية فارتكب الحبر الاعظم أمراً يخالف الشريعة جد المخالفة؛ وشرع يستجوب المُتهم، واتخذ من هذا الاستجواب ذريعة لاتهامه. وكان هذا الإتهام فى الواقع حُكماً بالموت!!

ماذا كان يجب سلوكه إذن؟ المقبوض عليه لا مبرر لأتهامه قانونياً فكان يتعيّن إذن وقف الإجراءات، عند هذا الحد، لأن المحاكمة غير جائزة على هذا الأساس.

والإتهام لا يستند على أساس قانونى، ولكن المحكمة أجمعت كلها على التضحية بحياة المتهم. فصرَّح رئيس المجمع بأنه يحسُن أن يموت إنساناً واحداً عن الشعب كله. والمحاكمة تتعلق بحياة المتهم. ولقد نطق رئيس المجمع بهذا الحكم الرهيب.

أثرت هذه المحاكمة تأثيراً كبيراً فى الأدب والتاريخ، فنجد مثلاً فى الجزء الثانى من قص «هنرى الرابع» أن الملكة مارجريت تنطق العبارة الآتية، التى تنُم عن حقد دفين وهى: "يجب أن نتخلص من جلوستر لننجو من الرهبة التى تحيط بقاتليه" فيجيبها الكاردينال بوفور (وهو قيافا عصره) "أجل. إنه سيموت، وهذه هى السياسة الحكيمة، وإنما يجب

أن ننتحل سبباً لذلك، حتى يكون موته مستنداً علي أحكام (نصوص) القانون"

نعم يجب أن يتبع فى محاكمة يسوع أحكام الشريعة على قدر المستطاع، ولكن إذا لم يتيّسر الحصول عل شهود. أو إذا كانت الإجراءات القانونية لا تطاوع في إدانته فلماذا لا يُلقَى القانون جانباً ويُستجّوب المتهم: هذه هى العقبة الصعبة.

وظل المتهم صامتاً ولكنه قطع ذلك الصمت بتوبيخ لطيف، لمن تولى الحُكم عليه، فقال: "كنت أتكلم علانيةً وعلى مسمّع من كل الشعب. ولم أكن أتكلم فى الخفاء، بل بشرّتُ فى المجامع والهيكل، حيث يحتشد اليهود دائماً، فلماذا تسألنى إذن، ويجدر بك أن تسأل الذين كانوا يسمعوننى فيخبروك بما كنتُ أقول»

وقف سقراط مثل هذا الموقف، قبل ذلك بأربعمائة سنة وذكر أفلاطون عن لسانه فى كتاب "الابولوجيا" العبارة التى قيل إن سقراط نطق بها أمام المحكمة العليا للشعب؛ وإذا زعم أحد أنه تعلّم منى سراً ما لم يتعلّمه علناً . فثقوا أنه غير صادق.

لم تكن محاكمة يسوع مقصورة على التحقُّقّ من صدق



الوقائع (التُهم) الموجهة إليه، ولكن تناول الامر المبادئ الأولية للشريعة اليهودية.

كانت الحال تبعث علي الحيرة أكثر مما ظن الشعب الثائر. فقد وبخوا المتهم لإجابته، ولطموه علي وجهه أثناء إنعقاد المحكمة. أما هو فقابل هذا الإستهزاء بأن توسل إليهم بالْحسني في معاملته، ومراعاة الشريعة في محاكمته فقال لهم إن كنتُ تكلمت بالشر فأُشهدكم علي قولي، ولكن إذا كان كلامي حسناً فلماذا تلطمونني"؟!.

وكان يجب وقف المحاكمة حالاً. فالشهود لم يكونوا علي اتفاقٍ في أقوالهم. ولذلك إنعدم الشرط الأول الذي كان يجب توافره لمحاكمته طبقاً للشريعة، ولكن مابقي كان دليلاً كافياً علي المساس بأصول العدالة والشريعة. فقد جاء فيها: "لا تحكم شريعتنا علي أحد بالموت لمجرد اعترافه". وجاء أكثر من ذلك. وهو أن من القواعد الأساسية للعدالة، أن لا يُضار أحد بما يصدر منه من كلمات أثناء المحاكمة.

نقل المستر اينس النصوص السابق ذكرها. وأضاف اليها ما يأتي: "إن وضع السؤال للمتهم واتهامه علي مقتضي إجاباته أُمران يخالفان أوضاع العدالة جد المخالفة"

سلك القضاء اليهودي هذا السبيل الملتوي. ولم يمكن



تجاهل العقبات التي تتخلله، ومما يبعث علي الأسف، أن **يقوم الإتهام علي هذه الإجراءات الباطلة!!**

ماهو الإتهام؟ قدم للمحكمة أحد اليهود التابعين لحكومة دينية، ثم أن المتهم صرّح بأنه لا يخامره شك في الشعور بالإلوهية الساكنة فيه، فلماذا لا يسألونه عن هذا الامر؟ واليهود في مقدمة الامم التي تؤمن بمسيح منتظر، بالرغم من أن آمالهم ترتكز علي أساس مادي. ولعل إجاباته تتضمن شيئاً نافعاً. فهو يُعلّم تعاليم غريبة تشير الي مملكة جديدة قوامها الحق الروحي والحلول الالهي وخلود النفس. فألقّي عليه السؤال الآتي:- "**هل أنت المسيح ابن الله**"؟

كانت هذه اللحظة أخطر الاوقات في حياته. فأجاب"نعم" وقد كان هذا الجواب منطبقاً كل الانطباق علي تعاليمه كلها. ولقد أدرك قيمته من الخطورة والجلال.

كان يسوع علي اعتقاد ثابت أن فداءه ليس مقصوراً علي اليهود ولكنه شامل لكل العالم. وأنه الشخص الوحيد المرسل اليهم. والذي تمّت فيه نبوءات إشعياء- نبي اليهود بل نبيه هو أيضاً"

وقع المشهد المؤثر للمحاكمة فقد دق جرس السرعة، هذه العجلة التي ألبست المحاكمة رداء العار!!



مزق رئيس الكهنة ملابسه وختم المحاكمة بأن"أعلن أنه لا حاجة لشهود" . وقد إنطوي تحت هذه العبارة كل مظاهر الاستهانة بقواعد العدالة" ثم قضي بالموت علي المتهم، بعد أن تجردّت محاكمته من كل الضمانات الشرعية.

إن ما يلفت النظر هو تلك" العجلة الغريبة" التي صحبت المحاكمة فكانت الإجراءات مضادة من كل وجه لجميع ما أمرت به الشريعة، وأجدرها كلها بالملاحظة، **أن المحاكمة قد حصلت"ليلا" ، خلافاً لما تقضي به الشريعة الموسوية.**

ولا يوجد إسرائيلي واحد يعرف شيئاً من تقاليد قومه أو كتبهم المقدسة، ويجرؤ علي القول بصحة محاكمة جنائية **بدأت ليلاً وظلت مستمرة ليلاً وختمت بالحكم ليلا بدون أن يؤجل النطق بالحكم الي اليوم الثاني!!**

. وقد قسّم"المشنا" المحاكمات إلي نوعين: أولاً محاكمات عن جرائم الأموال، وثانياً محاكمات عن جرائم النفس: وهذا نص ما جاء فيه:

"لا يجوز البدء في المحاكمات المتعلقة بجرائم الأموال إلا في النهار، ولكن يجوز الانتهاء منها ليلاً. أما المحاكمات الخاصة بجرائم النفس فلا يصح البدء فيها إلا نهاراً، وكذلك لا يصح أن تختتم إلا في النهار أيضاً، ثم يجوز أن

تنتهي المحاكمات في جرائم الأموال بصدور الحكم بالبراءة في اليوم الذي تحصل فيه. أما المحاكمات في جرائم النفس فيجوز الانتهاء منها في نفس اليوم اذا صدر الحكم بالبراءة، وإنما يجب إرجاؤه الي اليوم التالي" إذا كان الحكم بالإدانة .

ويتضح إذن، أن العجلة في محاكمة يسوع، كانت اعتداءً جسيماً علي الضمانات الأولي التي اشترطتها الشريعة اليهودية.

قُبض عليه في بستان جثسيماني، الخميس ليلاً واجتمع السنهدريم -- أو لجنته العُليا- مساءً لمحاكمته. وحوكم ليلا!!.

لنفرض جدلاً صحة البواعث الدينية والسياسية، بل الاعتبارات الشخصية التي ترجع الي العداء لشخص المتهم، . **هل هذه الاعتبارات تبرر الاعتداء علي التقاليد الشرعية وتمزيق العدالة وانتهاك قدسية القضاء وزعزعته من أساسه؟!**

ونري مما سبق أن المحاكمات في جرائم النفس يجب أن يؤجل النطق بالحكم فيها الي اليوم الثاني، إذا كان الحُكم صادراً بالإدانة، ولكن يسوع حوكم وأُعلِن أنه مُستحق



للموت. وكان كل هذا قبل ان ينجلي ظلام الليلة التي قُبضَ عليه فيها!!

إن السؤال الذي تُلقيه الشريعة اليهودية هو: هل صدر الحكم بالأدانة في هذه القضية المتعلقة بالحياة، ولم يؤجل النطق به الي اليوم الثاني؟ الجواب نعم- قُبض علي المتهم الخميس ليلاً، وحوكم أثناء الليل، وحُكم عليه ليلاً. وسلم في الصباح الي الحاكم الروماني، الذي صدقّ علي الحكم الساعة ٩ صباحاً وصلِب في الساعة ١٢ من صباح يوم الجمعة، وفي الساعة ٣ عصراً أسلم الروح (النفس البشرية) بعدما أعلن إكمال الفداء الموعود به في الكتب اليهودية ذاتها.

ولو نظرّنا الي هذه المحاكمة- كحادث عظيم في التاريخ الانساني- لكانت من الناحية القضائية عملاً فظيعاً مُغايراً العدالة وضد الرحمة والقانون. أُرتكِبَ فيه القتل عمداً وبعجلة وبلا شفقة

ولماذا كل هذه العجلة؟ لا يستند السبب فقط الي أن الجماهير الثائرة المضطربة، المدفوعة بالتعصب الديني، ترغب الفصل السريع في أمر المتهم؛ ولكن تَّبين لي بعد التدقيق وتمحيص الأسباب، أنها ترجع لما يعلمَه القائمون بالمحاكمة من تقلُّب العواطف، لدي أهل أورشليم. فخشوا من تغيَّر



الشعور لمصلحة المتهم إذ لم يمض زمن طويل بعد، علي المقابلة الباهرة التي قوبل بها حينما هتفوا قائلين «أوصنا في الأعالي». وخافوا لئلا يعود الناس الي سابق هتافهم، أو ربما دفعتهم الشفقة عليه الي الارتداد ضد من بصق عليه ولطمه. بل لعلهم يذكرون أنه المصلُح الجرئ والشافي الشهير لأمراضهم، ومعزيهم في أحزانهم، فتبكتُهم ضمائرهم وينقلبون ضد المنادين بموته ظلماً وعدواناً.

لذا يجب حينئذ الإسراَّع بلا هوادة أو رفق بإدانته. ولا محل إذن لشهود. ولتُطرح الشريعة جانباً ولتكُن العجلة أساس المحاكمة، خاصة وأن السلطة التنفيذية (الرومانية) وأسفاه قد أصبحت الآن عاجزه. ولاشك أنها كانت عقبة. وإنما هذا لا يُثني عزمهم. وليستفيدوا من السُلطة الممنوحة لهم. وليحكم عليه مجمع اليهود الظالمين ويُعلنوا أنه مستحق للموت، ويسلم فوراً الي رجال روما، لاعتماد الحُكم الظالم.

ظل قيافا أثناء عواصف الاضطراب والفوضي مُسيطراً علي الموقف، فهو الذي هيمّن علي الإتهام، حتي بلغ هذه المرحلة. فخاطب الرب يسوع علناً بهذا القَسَم العظيم، الذي يتردد في أسماع اليهود، وينطق به كل لسان فيهم «استحلفك بالله الحي: **هل أنت المسيح ابن الله**؟!

لنقف قليلاً أمام هذا السؤال، الصادر من يهودي الي يهودي وفي بيئة يهودية. أي أنه صادر الي شعب. وبين شعبٍ اعتاد التأمل في هذا الأمر، وقامت عليه أقوال أنبيائهم وشعرائهم وعقيدتهم. فهم يؤمنون بمجئ المسيح وظهوره في وسطهم. فالشك في ذلك هو حكم علي كل النبوات الإلهية السابقة بالكذب!!

. ولم يكن السؤال «هل أنت الواضع أو المخترع لمذهب جديد؟ ولكن «هل أنت مسيحاً؟ هل تدّعي أنك هو بعينه الذي تنبأ به أنبياؤنا وموضع آمالنا كأمة؟».

حلت بهذا السؤال الأزمة الكبري في حياة يسوع. فتعلقَّ باجابته ميزان القدر. ولا شك فى أنه كان من المُحال عليه أن يُنكر. وكيف ينكر، وهو لو فعل، لحكم على طبيعته وعقيدته ورسالته الى العالم بالكذب والتزييف؟" ... إنه المسيح. وقد أصَّر على دعواه - ادعاء بسيط فى مبنّاه، ولكنه جليل فى معناه، فقد وضع يسوع نفسه - بهذا الجواب - فى مركز البنّوة لله، والحكم فى اليوم الأخير؛ ولكن لم تنطق شفتاه بادعاء السيادة المادية والانتصار بالسيف، وإزالة سلطان روما أو غيرها من ممالك العالم. فكل حياته وتعاليمه كانت إنكاراً لذلك. والمملكة التى جاهر بها قائمة فى قلوب الناس.



وسيادته مقرها فى النفس، وعلمّ بأن العُنف ضعف والعالم زائل، لا محالة.

وكانت دعوته للمساواة الروحية صفعة عنيفة للمحكمة، **لأن كل آمالهم فى المسيح المنتظر كانت أرضية**. والخروج من نير المستعمر، فكيف أن عاملاً ومعلماً وضيعاً مثل هذا الإنسان - الحاضر أمامهم - يهدم كل آمالهم ويستخف بمُثلهم العُليّا، ويزعُم أن مملكته ليست من هذا العالم؟! فرجل مثل هذا يحتقر آمالهم وأطماعهم، لا يمكن أن يكون هو المسيح (الملك) المنتظر، والقوى كشمشون وداود وسليمان؟!

إن قوة الشهادة تقوم -فى الواقع- على الحالة العقلية للأشخاص الذين يُراد إقناعهم بصدقها، وأعضاء المحكمة لم يكونوا إلا فئة متحمسة، خاضعة للعقيدة التى أشرّنا إليها. فالشهود لم يكونوا فى نظر المحكمة سوى أشخاص، ضد المتهم بلا دليل. فلا يجوز إذن سماعهم، لأن المتهم "قد «جدَّف»" وجزاء التجديف فى الشريعة اليهودية الموت. فليُسرعوا به الى الوالى بيلاطس، لاعتماد الحكم رسمياً، وأتخاذ اللازم للتنفيذ.

عَرِف كل من بيلاطس وقيافا الآخر. وكان لبيلاطس تاريخ غير محمود، ولكنه الممثل الفعلى والنائب عن طيباريوس. ثم

أن فلسطين كانت تُشبه مستعمرة تابعة للتاج البريطانى.
وكان بيلاطس نائب قيصر، ولكنه أتى أعمالاً شريرة... وكان عدواً للنظم اليهودية.

ويؤكد المؤرخ يوسيفوس أنه نقل الجيش من قيصرية الى أورشليم، للقضاء على الشريعة اليهودية. ثم أباح رفع تماثيل قيصر علي أعمدة ، فى بلدٍ يُحّرم أهله صنع التماثيل أو حملها. فاستاء الشعب، ولكنه طوقّه بالجنود فأثر اليهود أن يذعنوا الى مايُحَّرمه دينهم. فامتثل الوالى الشرير لشيئتهم، وأذعن فى تلك المرة، لإرادة الغوغاء، من أهل أورشليم.

أما هو فلم يكن سهلاً فى كل ما وقع بينه وبين اليهود، فقد جرد الهيكل من كنوزه الثمينة، لإنشاء نظام لتوزيع المياه ولما ثارت الغوغاء، دس جنودد فى وسطهم بعد أن تزيّوا بملابس اليهود، واستخدموا خناجرهم. فخمدت الفتنة أن أمعنوا قتلا وجرحا. فهذا الحادث المُريع لا يمكن أن يبرح خواطر وقلوب اليهود. ولا يتصوَّر أحد منهم أنه يمكن نسيانه أبداً.

كان بيلاطس والياً قاسياً. ولا يتردد فى إراقة الدماء، وتجلى هذا فى محاكمة يسوع، والحوادث التى حصلت بعد ذلك، خصوصاً حوادث الاغتيال والقلاقل فى منطقة السامرة.



فاستبدلته السُلطة الرومانية بعد عشر سنوات من ولايته بمارسيلوس. واستدعِيَ الى روما"ليجيب عن إتهامات اليهود"كما يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس.

كانت هناك حينئذ أمور كثيرة تجعل بيلاطس يخشى الوقوف أمام قيصر. وكان هذا فى الوقت الذى حصل فيه النزاع بينه وبين السنهدريم، بشأن يسوع الجليلى المتهم.ثم يجب أن نذكر أيضاً أن فى هذه الأثناء جمع طيباريوس فى شخصه كل وظيفة وسلطة فى الدولة، سواء أكانت دينية أو حربية أو مدنية، فكان بما لديه من السُلطة غير المحدودة يستطيع أن يعز ويذل - بكلمة منه - وله أن يحكم بالموت في كل الجرائم سواء أكانت صغيرة أو كبيرة، خصوصاً تلك الجريمة الكبري التي تنطوي تحتها الخيانة كلها، وهي جريمة المسيح المتهم"أنه غير صديق لقيصر".

أما قيافا فكان رجلاً عظيم الدهاء واسع الحيلة، ولقد استطاع بمكره، الذي فيه كثيرين الي إكراه بيلاطس علي أن ينقض إرادته، القاضية ببراءة المتهْم واستعان قيافا علي بيلاطس لبلوغ مآربه، بشكوكه، ومخاوفه حتي تمكن من الحصول علي رضائه، وصدور الحكم بالموت علي المتهم المظلوم.

اشترك قيافا وبيلاطس البنطي في صفة «السوء» فكان



كل واحد منهما لا ضمير له، ولكن قيافا كان أكثر الرجلين مكراً. أما البنطي فأكثرهما جُبناً، علي الرغم من مظاهر الرهبة وتوفر السلطة الرومانية المسموح بها له في الإدارة.

سلّم قيافا (الحبر الأعظم والزعيم الديني) المتهم الي بيلاطس (الممثل لحَبرٍ أعظم آخر، وهو الحبر الأعظم للوثنية) ورئيس السلطة المدنية، فوقع الصدام بين السلطتين، وهذا يحدث كثيراً بين الكنيسة الغربية والدولة، حينما تتقابل السلطتان الروحية والمدنية. اذا تثور العواطف في البيئة الدينية، فتستنجد بالسلطة السياسية، لتمنحها تأييدها ضد من يُخالفها، في إيقاع عقوبات اللعنة الدينية والحرمان، بأن تجازي السلطة السياسية من تغضب عليهم الكنيسة، بمصادرة الأموال أو بالحبس أو الموت. فيطول أجل السلطة الدينية، ولكن لابُد من التسليم لهذه المشيئة التي تصبح بمقتضاها مجرد آلة للنقمة الكنسيَّة، ووسيلة لنشر دعوتها: أو لحلول غضبها علي شعبها (كما حدث في العصور الوسطي).

- **يجب اذن البحث في الرابطة بين السلطتين اليهودية والرومانية فهذه مسألة قضائية تستحق الدرس والعناية:**

السلطة الدينية اليهودية تمثلت في السنهدريم، بزعامة



قيافا كبير الكهنة، والسلطة الرومانية تمثلت في محكمة وسلطة بيلاطس، نائب طيباريوس قيصر روما.

لم يكن قيافا قائماً بتحقيقات ابتدائية كقاض للتحقيق، ولكنه باشر محاكمة حقيقية، مُتبّعاً في ذلك أوضاع الشريعة اليهودية. ويجب أن نُلفت النظر إلي أنه قبْل خضوع فلسطين للسيادة الرومانية، كان التنفيذ يتبع الحُكم، ولكن تغيرت الحال الآن. فروما تتوسط بين الحكم والتنفيذ، علي اعتبار أن المتهم من رعاياها، فلا يسوغ أن يموت مواطن لها قبل أن يتحقق نائب الامبراطور من أنه تمتع بضمانات الشريعة الرومانية.

وخُتمَت المحاكمة اليهودية بصدور الحُكم. أما الاعتماد الحكم، ثم التنفيذ بالموت، فأصبح بين يديّ السلطة الرومانية، ولا يستفاد من هذا أن بيلاطس أصبح بصيرورة الامر اليه "محكمة استئنافية" . فيسوع لم يستأنف الحكم الصادر عليه.

ثم أنه لم يكن كذلك مجرد مأمور بالتنفيذ يرأس محكمة للتنفيذ فقط، بل كان في استطاعة الوالي الروماني ومن واجبات سلطته أن يستعرض الإجراءات التي آلت الي وضع المتهم في سلك الإتهام. فسلطة بيلاطس كانت تشبه من



وجوه عديدة السلطة الممنوحة لمجلس الملك البريطاني الخاص في الجنايات التي تُرتكب في المستعمرات التي كانت تابعة للتاج البريطاني(مثل الهند) . فقد اعلن هذا المجلس مراراً عديدة أنه ليس محكمة استئناف، ولكن له الحق المطلق في أن يحُول دون إنتهاك العدالة الطبيعية، مثل رشوة القضاة، أو حرمان المتهم من حق الدفاع عن نفسه . أو الحُكم عليه في أمر لا يُعد جريمة .

وهكذا كان يملك بيلاطس كل السلطة السابق ذكرها ، بل أكثر منها بالتأكيد . فلا يسمع أقوال الطرفين فحسب، بل يفحص الدعوي، ويستجوّب المُتهَّم، ويرجح أنه كان يملك استدعاء الشهود أمامه، ليزداد طمأنينة إلي أن العدل استقر في مكانه . وبالجملة كانت له علي الاقل الحقوق الآتية قبل التصديّق علي الحكم وهي: الحرية الكاملة في إعادة النظر في الإجراءات، والامتناع عن تنفيذ الحكم، وإطلاق سراح المتهم، والتصريح بأنه لم يرتكِب أمراً يستوجّب الحُكم عليه بالموت .

وكان لبيلاطس فوق السلطة التامة في إقامة العدالة الرومانية وصيانة الحرية الشخصية للأفراد، أن يبذل كل ما لديه من جهد وقوة في حفظ النظام، بصفته حاكماً رومانياً . فهو في الواقع قاضٍ ووزير للدولة علي السواء .

فله تخفيف العقوبة أو العفو عن المحكوم عليه. كما كان عليه أن يصون النظام، ويمنع الاضطرابات والضوضاء. ويقوم بسائر ما تدعو اليه التعليمات الادارية. ولكن من المؤكد أن الاعتبارات الإدارية لم يكن يجوْز أن توضع موضع الاعتبار إلا بعد الفصل في الامر من الجهة القضائية علي الوجه الآتي هل هذا الرجل مذنب أو برئ؟ فان كان مُذنباً فيجوز العفو أو تخفيف العقوبة عنه. اما إذا كان بريئاً فلا يحل إذن لاستعمال السلطة الادارية معه، لان البرئ يَجب إطلاق سَراحه، وإلا كان الحكم عليه بالموت بمثابة قتله غدراً، ولا يُقال في هذه الحال، أن الحاكم ضعيف أو قوي، بل يتحتّم القضاء عليه بالخبث والطغيان (كما حدث مع المسيح).

وقف بيلاطس الموقف الذي أشرنا اليه فيما سبق، حينما تقدمت اليه السلطة الدينية بأنه مستحق للموت. وكان الأمر الظاهر في المحاكمة والمخالف للمأمول، هو التسرُّع في صدور الحكم والعجلة في استصدار أمر قضائي بالتصديّق عليه في عيد الفصح، وهو من الأيام التي لا يجوز مباشرة اي عمل فيها بمقتضي الشريعة اليهودية (عطلة رسمية).

لماذا إذن وقعت المحاكمة المتعلقة بحياة انسان؟ وارتكبت

فيها إجراءات مُغايرة للشريعة العبرَّانية؟ ولماذا خولف فيها العُرف المتبع. فنُظِرَت الدعوي. وحُكِم فيها في اليوم السابق للسبت، أو يوم عيد الفصح؟!

وكان يجب علي بيلاطس أن يَدرِك أيضاً أن المحاكمَة حصلت ليلاً. وهذا مغاير تماماً للأصول الشرعية اليهودية. أجل هذه المُحاكمة لم تكن عادية. فكان يجب علي بيلاطس ان يسير، علي حذر في إجراءات المحاكمة الهامة.

ومن الأمور المتعة أن تُحلّل العوامل التي كانت تتنازع عقل بيلاطس. فقد أدرك كل الادراك المتاعب التي تنجُم عن خلافه مع الغوغاء من اليهود. ولا يخفَّي أن منصبه كقاضٍ وحاكم معاً استُهدِف لهذا الخلاف. ولقد جرب عواقب الاذعان والمقاومة فيما سبق، فليفحص اذن هذه الدعوي بنفسه، ولا شك أن خير السُبل التي يمكن أن يهتدي إليها هي اتباع الاوضاع القانونية الدقيقة، لأنها وحدها الطريق الامين ثم اذا سلمنا بالمعايب الخلقية التي كشفت اعماله الاخيرة الغطاء عنها فهو يعلم جيداً– سواء أكان قاضياً أو حاكماً إدارياً– خطورة واجباته ومسئولياته لدي دولته. فليتدبّر الأمر حينئذ من الناحية القضائية والإدارية، ولابُد في النهاية، من الأخذ بالعدالة، للخروج من هذا المأذق القانوني.



يجب إذن أن يكون قرار بيلاطس- في كفة العدالة- استناداً للظروف المائلة لديه... هناك جماهير من الغوغاء تصبح بالإتهام، مستخدمةً في ذلك كل الأساليب الهمجية.

أما المتهم نفسه فلزم الصمت، وصبر علي الإهانة. وكان أعزل من كل وسائل الدفاع. وهجره أصدقاؤه فلا يجب لنا أن نحد من قدر العدالة الرومانية، والمبادئ الخُلقيَّة التي قامت عليها. ونتوهم أن القاضي الروماني لا تشعر نفسه بهذه الظروف. ويتسرب الجزع الي قلبه. فتتزعزع عزيمته ويعمد الي النطق بحكمٍ منافٍ للعدالة. وربما ظن الجمهور أنه أفزعه بصراخه.

أما بيلاطس فأظهر لهم حالاً أنهم كانوا واهمين. فقال"ما هو الشر الذي صنعه؟" فردوا عليه قائلين:"إنه لو لم يصنع شراً لما حكموا عليه". هذا الجواب أجوف، لا يشتمل علي شئ، وإذ ذاك أدركتَّه الحيرة التي ادركت رئيس الكهنة من قبل،

ورأي العقبة ظاهرة في تحديد نوع الإتهام!! وقد أورد القديس لوقا الانجيلي النص الكامل، لِماَ حدث، وهو:"إننا وجدنا هذا يُفسِد الأمة، ويمنع أن تعطي جزية لقيصر قائلاً: إنه مسيح ملك".

وهو إتهام سياسي، لإثارة الوالي ضد المسيح. ثم شرع

بيلاطس يفحص الدعوي، ويسمع أقوال بعض الشهود. أما يسوع فلم ينطق بشيء. واتضح لبيلاطس، كما اتضح للمحكمة الادني منه، أن هذه الاقوال لا تؤدي الي الإتهام الحقيقي. فأحدهما وهو"الإفساد" أمر ديني بحت. والثاني وهو"الجزية" يتنافي مع ما اشتهر به من تعاليم المتهم. ولم ينهض دليل واحد علي صحته. أما التهمة الثالثة فمشكوك فيها. وهي"ادّعاء يسوع إنه «ملك». اتفقت الأناجيل علي أنه أجاب علي سؤال بيلاطس"هل أنت ملك اليهود" بقوله "أنت تقول" وهذا جواب يعادل اعترافاً. ولكنه لا يخطو بالإتهام خطوة واحدة الي الأمام، طبقاً للشريعة اليهودية، بل يتعين إقامة الدليل عليه، وأنه لا يجوز أن يقف الأمر عند هذا الحد، لأن هذه التُهمة تتضمن أمراً أخطر بكثير من خلاف بين اليهود علي أمرٍ ديني كنسي أو تقليدي، اذ يجوز أن تدخل التهمة في نطاق السياسة.

ولهذا رأي بيلاطس- وكان محقاً في رأيه - ان يوالي استجواب المتهم. ودار بعد ذلك، حديث بينهما ليس له ما يُماثله في تاريخ العالم: وحصل ذلك في داخل السراي التي يمتنع اليهود عن دخولها في يوم عيد الفصح.

وكان الحديث يشتمل علي كثير من الحرية والصراحة.



وننقل نص الحديث عن الانجيل الرابع: "ثم دخل بيلاطس دار الولاية ودعا يسوع وقال له: أنت ملك اليهود؟ أجابه يسوع أمن ذاتك تقول هذا؟ أم آخرون قالوا لك عني"؟، اجابه بيلاطس ألعلي أنا يهودي؟! أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك اليَّ. ماذا فعلت؟ أجاب يسوع مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم. لكان خُدّامي يجاهدون لكي لا أُسلَّم الي اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا». فقال له بيلاطس أفأنت إذن ملك؟ أجاب يسوع «أنت تقول إني ملك. لهذا قد وُلِدتُ أنا. ولهذا قد أتيتُ الي العالم، لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي. قال له بيلاطس: "ما هو الحق"؟!.

ونستخلص أمراً جليلاً، من هذا الحديث، فقد حصل اتصال -اتصال حقيقي- بين عقل يسوع وعقل وثني مادى، ولم يكن هذا العقل الثانى غير مُثقف أو ضيّقاً أو غير مُدَّرب على البحث الفلسفى. فقد ظهر من الحديث - بأجلى بيان - أن بيلاطس طرَح سُلطانه جانباً، وأخذ يبحث الأمر من ناحيتى العقل والحق. فأجابه المتهم، عن الناحية الأولى، جوابا تمثلت فيه القوة، حينما كشف له - بتؤدَة ولُطف - عن رؤيا عالم جديد.



ملك؟ أجل ملك ولكنهما لم يتلاقيا ليتراشقا بالألفاظ. فالأمر يتعلّق بطبيعة هذه المملكة، ولذلك حينما امتد بينهما الحديث وظهر بوضوح أن لا منافسة بين مملكته وبين روما. ومن ثم فلا خيانة منه لسيدة العالم المادى.. وملك بلا شك فقد وَلِد لهذا الغرض، ولكن "مملكتى ليست من هذا العالم. ولو كانت مملكته من هذا العالم لكان قد قام قتال وحرب، واستخدام للقوة، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لأنى أشهد للحق، وكل من هو منْ الحق يسمع صوتى".

أقوال غريبة على سمع وفكر رومانى مادى وثنى. وأجُرؤ على القول أن علامات الحيرة والتردُّد لدى بيلاطس كانت الأشعة الأولى الحقيقية للتسامح فى كل تاريخ الفكر الانسانى والحرية، فقد كان قلقه شريفاً، ومرّجُعه الفلسفة والتفكير. وإنى لأجل هذا القلق العقلي، أُظهرَ الإجلال كله، وأضعه فى مرتبتّه اللائقة به، من الإحترام.

كانت الأساطير الدينية الوثنية -فى ذلك العهد- أقوالاً لا روح فيها. ولا حياة لدى كل رجل من حاشية

طيباريوس، بالرغم من أن آثارها الرمزية كانت لا تزال باقية، ولكن ذهبت أيام العبادة المُنظِمة للحياة والتفكير السليم.

زالت الحياة من عبادة"تعدُّ الآلهة". فقد ألهُّوا كل قوة من قُوى الطبيعة، حتى الغرائز الطبيعية الانسانية-وتحوُّل الأمر الى صبغ العقيدة بصبغة الوطنية، فصار الامبراطور إلهاً. وهذا كل ما تَّبقى من سُلطان العبادة. فلم تعد كما كانت مُحركاً أو رقيباً للنفس، أو مصدر وحى لها. إنما إقتصر سُلطانها على الرقابة المادية للأعمال الانسانية... ماذا يقصد هذا العبرانى: يظهر من أقواله بجلاء، أنه توجد نفس للإنسان، أى يوجد كائن يُعمّر مملكة أخرى. وهذا الكائن تابع للحق، يُحرّكه ويراقبه ويُوحِى اليه بما يراه.

ما هو الحق؟" ألا يوجد شئ صحيح فى أقوال هذا العبرانى؟ وإذا كان ما يقوله صحيحاً. فالعقائد القديمة تبدّدت وخلفتّها عقيدة جديده تكاد تُحقق رغبات القلب



الإنسـانى، أو إصـلاحـه من الخضـوع لمملكة فى عـالم التصوّر الكمالى، حاكمها وزعيمها، ومركزها هو الحق.

وسواء أكانت هذه الخواطر قد مرت بذهن بيلاطس أم لم تمُرّ بخاطره، فإن أمراً واحداً كان بلا شك واضحاً لديه وهو:أن هذه العقيدة المتعلقة بالنفس والحق لم تكن جريمة ضد القانون، أو الإدارة الرومانية، ولكن هذا الشخص الهادىء. المُسَالِم الوديع آمن بهذه العقيدة الكمالية، وجعل حياته وتعاليمه كلها وقفاً عليها. ومن ثم لم يكن يعبأ بأى خطرٍ يُهّدِد حياته، فى سبيل المحافظة عليها. **فهو لم يقترف جرما ما. وليس خائناً لروما فلا يقتل هذا الرجل بل يجب ان يُطلق سراحه.**

إنتهت المقابلة بين يسوع وبيلاطس. وأوردَّ القديس يوحنا الإنجيلى الخاتمة هكذا::ولما قال هذا خرج ايضاً الى اليهود، وقال لهم: لست أجد فيه علة واحدة"!!.

تمّت المحاكمة وصدر الحكم. وقام القضاء الرومانى بنصيبه فيها. **فأعلن براءة يسوع المسيح. فماذا كانت النتيجة؟!**



فقدت الغوغاء عقلها بإيعاز من رؤساء الكهنة وسرت فيها روح الكراهية. فارتفعت منها صيحات التمرُّد- التمرد على القانون - وعلى الوالى نفسه، فرفعت صوتها مطالبةً بدم يسوع.

ومنذ تلك اللحظة، دخل شيطان الأنانية (الحرص على المصلحة المادية الشخصية) فى قلب بيلاطس، فانحدر من النور الى الظلام. مع أنه كان ينادي - منذ قليل - وفى كل أدوار مقاومته، وعدم إذعانه لهذا الجمهور الاحمق، **أنه لم يجد أية علة فى هذا المتهم البرئ!!**

كان استسلام بيلاطس باعثاً على الأسف والرثاء. فتورَّط فى حمأة الرذيلة، وتمرغ فى قاذورات من الإجراءات العملية، ولاح عليه - منذ البدء فى الاضطرابات - أنه كان يخشى الغوَّغاء، ولكن تبيّن له ايضاً خطر المسئولية، مسئولية إقامة العدل وإطلاق سراح المتهم، وعدم الإذعّان لهذا الشعب الثائر.

فقرر الخروج من هذه الضائقة، بأن أحال الدعوى على هيرودس لسبب مُضّحك، وهو أن المتهم جليلى. فلعل هيرودس يقول باختصاصه، استناداً الى محل إقامته أو لأصله الجليلى، ولكن هيرودس عد عمل بيلاطس من اساليب اللياقة والمجاملة. وأعاد إليه الدعوى، فلم يرَ بيلاطس مندوحة من القيام فعلاً بالمحاكمة. فقام بها. وأصدر حُكمه الظالم بصلب المخلص.

ولكن ماذا كان يجب أن يعمله، ليُسكن من حدة ثورة هذا الشعب المضطرب؟ ليتظاهر بكراهية المتهم، ويسلك سبيلاً يخدع به هذا الجمهور المتحمس للبطش بالمسيح، ويأمر جنوده بجلده، ويتخذ من تهمة الملكية ذريعة السخرية منه، ويأمر بإلباسه ثوباً بنفسجياً شعار الملكية، ويكلله ولكن بإكليل من الشوك، ثم يصرح - مرة أخرى - أن يسوع برئ، وبذلك يُطفئ غضبها بوابل من كلمات السخرية والازدراء، فلعل هذه المهزلة تضع حداً للمأساة.

ولكن الغوغاء تمقُت المتهم مقتاً شديداً، فلا تكفى هذه المهزلة لخديعتها. ولقد أدركت:أنها لم تُخضع يسوع لسلطانها فقط، ولكن بيلاطس كذلك، فصرخت. «**الصلب الصلب!!**»

ما هذا؟ الصلب! هذا النوع التنفيذ مُخالف للقانون. سقط بيلاطس سقوطه الأخير فليفر إذن من مسئولية التنفيذ بقتل برئ، وليُلقها على كاهل هذه الغوغاء، ولتْحمل وحدها وزر هذا العمل المنافى للقانون والأخلاق.

هذا عمل الجبان اليائس، وفشل للقانون. ولم تفلح السلطة الإدارية وفرضت الغوغاء الرأي الخاطيء.

فأسرع بيلاطس الى إعادة استجواب المتهم سراً، ولكن هذه الوسيلة أظهرت أنه برئ. ولا جريمة أو خطأ لديه. ولما



ظهر يسوع وبيلاطس أمام الجمهور، كرر بيلاطس تصريحه السابق ببراءة المتهم، فاستفز قوله غضب الجمهور، وأطلق العنان لكُرهِه. وصرخ طالباً دم المتهم، وأنه يجب أن يموت، **على الصليب بالذات.**

ولجأ هذا الحاكم الضعيف - الذى سلم زمامه للجمهور- طريقاً آخر. فقد اعتاد اليهود منذ سنوات عديدة - وأيدتهم روما فى ذلك- أن يُطلِقوا أحد المحكوم عليهم بالموت، فى العيد فلماذا لا يلوز بهذه الوسيلة للفرار من الموقف؟! وبذلك يكون قد وّفق بين ضميره وصيانة الأمن وتنفيذ القانون، واحترام تقاليد اليهود؟!

لم تنفعه هذه الحيلة أيضاً. فقد جاءت بعد فوات الأوان. وصاح الجمهور: لا يُطلق يسوع ولكن ليُطلق لص وقاتل يُدعىَ باراباس. وسدد قيافا سهمه نحو قلب بيلاطس، فى هذه اللحظة التى اضطرب فيها ميزان القدر. فنفث فى قلوب الغوغاء أن تنادى مهددة وقائلة "انت لست محباً لقيصر". فخر بيلاطس صريع الخوف على منصبه الإداري الرفيع والخوف من محاكمته أمام قيصر روما!!

/ لا تدع الخطأ يتسرب إليك من هذه الناحية. فإنى أعلم جيداً الجدل الذى احتدم حولها، ومحاولة بعضهم الدفاع عن بيلاطس، بالاحتماء وراء الضرورات الإدارية، التي تُبيح المحظورات. فقد



أمعنت النظر فى هذا الدفاع، ولكن لم يسفر لدّى عن فائدة ما لبيلاطس.فنحن لا نفحص الأمر من جانب ما، كان يجب عليه اتباعه. أو ما كان يدخل فى دائرة سلطته كحاكم.

وإنما يقصر البحث على ماوقع منه فعلاً. ثم أن المركز الإدارى والأوضاع القانونية، بل كل الواجبات الحكومية، كانت جميعها ماثلة لديه. ومع ذلك فقد حكم وأعلن براءة يسوع.

فهو إذن لم يحفّل بحماسة فئة ثائرة من رجال الدين اليهودى، ولم ينتهك قدس العدالة الرومانية بسبب صياحها؛ ولكن حينما وجّهت إليه تُهمة العداء لقيصر، خذّلته قواه. وذهبت شجاعته. وتبدل موقفه وملأه الرُعب والخوف علي امنصب وعلي العقاب المتوقع!!

هل يُقدم حساباً لقيصر؟ يعلم بيلاطس مايجُر وراءه الوقوف أمام قيصر من جلائل الأمور. فهناك مسائل عديدة تفوق فى الخطر أعمال يوم واحد أو الحكم بالموت على شخص واحد، إذ سيّعرض حينئذٍ سجل حياته كلها. وتُوضع سُمعته وإدارته فى الميزان، بل تستهدف حياته للخطر(الفصل والعقاب).

ذهب الشعب فى كراهيته الى أقصى حدٍ مُستطاع، وشعر بأنه أسمّى قوة فى فلسطين، وتجلت لبيلاطس تلك المنزلة الرفيعة التى وصل اليها الشعب، بل أدرك ميوله المقاومة وعواطفه الدينية المتقدة. ظهر كل هذا لبيلاطس. ثم اقترنت

هذه القوى أخيراً بالذكاء السياسي الذى لعب به قيافا. فاجتمعت الوجهتان الدينية والسياسية فى الهدف، ومن ثم خشى أن يصبح شخصه وأعماله الادارية المريبة قيد البحث الدقيق، والدفاع عنها لدى سلطات روما.

كانت مهارة قيافا ظاهرة ظهوراً جلياً. فقد بدأ الاتهام أمامه بالتجديف، ولكن حينما دخل الأمر فى منطقة السياسة، تحوّل بسهولة من إتهام التجديف الى خيانة الدولة، وعواقبها معروفة الموالي.

تكررت هذه المهارة مراراً عديدة فى التاريخ. وآسفاه. وكان هذا في تاريخ المسيحية أكثر منها فى اليهودية. فكم من آلوف المرات لجأت السلطة الكنسيّة الرومانية لبلوغ أهدافها الى عقد حلف مع عاهل أرضى، وكانت تستخدم هذا التحالف لأغراض شريرة (مثل تحالف البابا لاون مع الامبراطور البيزنطى مركيون وإمرأته بولكاريا ضد القديس **ديوسقورس الاسكندرى** فى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م).

درست المسيحية الغربية هذا الدرس بدقة بعدما تلقته من قيافا، لا عن يسوع المسيح. واقترن طلب التنفيذ على يسوع بتهديد بيلاطس بأنه إذا أصّر على تبرئته للمسيح، فسيكون مُحرّضاً على خيانة الدولة!!

واشتد هياج الشعب. وأخفقت المطالبة بالتسامح، أو باستبدال المسيح البرئ بمجرم شرير، ومحبوس فعلاً.



ماذا كان الحق لدى هذا الجمهور اليهودى الثائر المتحمس؟ كانت قيود الحق وأوضاعه لديه قائمة على التقاليد ليس غير.

فكانوا بذلك يخشون وينفرون من كل نوع آخر من أساليب الحق. ويحاولون القضاء عليه بالمحو، أما القوة المادية - بوجه خاص - فهي العلاج الوحيد، للتغلب على هذا التعليم المنير الجديد، وإطفائه، ليعيشوا في ظلام!!

كان التقليد، القياس الوحيد للحق، في عصر قيافا. أما فيما يلى ذلك العصر، فكلمة الوحى. وقد حكم على برونو وجاليليو "لأن الرأى المنسوب الى كويرنيكس من أن الأرض هي التي تدور حول الشمس. أما الشمس فثابتة، يخالف الكتاب المقدس ومن ثم. لا يمكن إتباع هذا الرأى، أو الدفاع عنه".

ومع أن مقياس الاضطهاد تغيَّر، فإن طريقته - وهي الاستنجاد بالسلطة السياسية - ظلت قائمة. وهى نفس طريقة قيافا الماكرة.

وكانت تعتبر الهراطقة مصدر خطر للدولة. والانقياد لوحى الضمير: خضوعاً لزعيم خائن - وحرية الفكر تمرداً. والأمانة للحق فتنةً!!

ويتساءل القارئ "ألا تشب حتى اليوم النار – مرة أخرى – من رماد الاضطهاد القديم، حينما تعصف عاصفة من



غضب الشعب؟ وإلا فما هو الغرض من الكلمات الواسعة المدى: "لتسقط الحكومة. فلنترك التأمل فى هذا الموضوع الى فُرصة أخرى. وإنما يجب أن تكون الثقافة على قدم الاستعداد للدفاع عن الحرية.

وهكذا تغلبت طريقة قيافا مئات من السنين إذ كان رواد الحق - والإيمان الجديد - يُساقون الى الهلاك، ولكن حينما قبض هؤلاء الرجال على السلطة انتقل هذا السلاح بذاته من أيدى خصومهم الى أيديهم، واستخدموه بعنف شديد ضد منْ لم يتبع منطقهم. فقد نهضت - فى كل عصر- طائفة من الرجال والأباطرة والحكام الشجعان تجاهر بتنصلها من تبعة الاضطهاد، ولكن بيلاطس لم يكن أحد هؤلاء الأبطال.

ثلاثة رجال وثلاث سياسات، طريقة قيافا والقوائم السود، وطريقة بيلاطس والتسامح. ثم أن يسوع شاهد بعينيه أثر الاضطهاد فى جسمه، فقد طورد بقسوة. ورأي خذلان التسامح حينما تولت الدفاع عنه أيدٍ ضعيفة ضد قوي ماكرة.

ماذا كانت سياسة هذا الجليلي المتهم؟ كانت في ظاهرها أقل باعث علي التفاؤل من التسامح، ولكن في حقيقتها شيئاً سيؤول في خاتمه الي تغيير وجه الأرض.

كانت المغفرة لكل البشر. يفيض التسامح من العقل، وهو

يُبهر الأبصار. أما المغفرة فتنبع من القلب وانها لتتوقد وفي إشتعالها نري مبادئ الوحدة الإنسانية والرحمة والتضحية والمحبة العملية.

بلغ يسوع الذورة من السمو - حينما صاح - وهو يجود بنفسه- أن أعداءه أخطأوا في موضع الحق، وتجلي حبه وحنانه حينما طلب المغفرة لهم من أبيه السماوي، وهو معلق علي عود الصليب.

لم يتعلم اليهود - أو الأمم - أموراً كثيرة من هذه الدروس العالية. فتُركت المغفرة للسماء. وفر التسامح من الأرض، أما الجنس اليهودي وهو الذي وُلد منه يسوع فقد حلت به لعنة الله للشعوب التي حملت اسم يسوع، ولم تتبع تعاليمه العظيمة القيمة (هتلر واليهود).

والبُغض سُم النفس ينتج كراهية وحقد. ولقد بسط سلطانه علي العالم قروناً عديدة عانت فيها الإنسانية الآلام المُبرّحة وأخذت هذه العاصفة تزول بالتدريج من العالم. ولندع التسامح يؤدي عمله كاملاً في القلوب، ولكن التسامح لا يكفي وحده، بل يجب أن تكون جهود الإنسانية متجهة الآن الي توطيد السلام في العالم. وهذا السلام القلبي لا يمكن نيله إلا بطريق المغفرة، وستتحقق هذه الأمنية، حينما نحب النور أكثر من الظلمة (عمل الخير والابتعاد عن الشر).

وظهرت هذه الفوارق في السياسة أثناء الفوضي التي صحبت محاكمة يسوع، ثم أصبحت من أخبار التاريخ. والآن فلنعد الي المشهد الأخير من المحاكمة.

كان الدور الأخير الذي مثَّله بيلاطس- في تلك المأساة - يدعو الي الرثاء حقاً. فقد حاول أن يزيح المسئولية عن نفسه القلقة، **بأن قام باحتجاج مسرحي.** فأخذ ماء وغسل يديه - أمام الشعب - وقال: "إني بريء من دم هذا البار. أبصروا أنتم".

وهكذا دفعه الخوف الي هذا الحد- حد التنازل عن السلطة وانتهاك حرمة العدالة عمداً- ثم ختم التمثيلية أخيراً بحادث مؤثر، ينم عن قسوة الإنسان على الإنسان فقال: "ليجلد قبل أن يصلب؟"وبذلك أسلم يسوع للضربات والجلدات والاهانات يسوع وأكملت اللعنة العميقة بأن أزهقت نفسه البريئة!!

هذا ما كان من قيافا وبيلاطس. وإنما يوجد في كل محاكمة فصل لا يدَّون وهو الخاص بالحالة النفسية للمتهم، وإن أكثر هذا الفصل محجوب عن الأبصار. ولا تصل الى أعماقه غير عين العناية الإلهية، ولكن وراء هذا الحجاب توجد الحقيقة والمأساة.

ولو كان في الإمكان كشف الستار عن هذه المنطقة المحجوبة، لأعيد تدوين فصول عظيمة من تاريخ الإنسانية.

وإن الآداب والفكر والخيال الانسانى والفنون والنقوش والنحت والموسيقى، كلها خرت راكعة لعدة قرون- أمام عظمة يسوع. فاستمدت من الظلم والقسوة الإنسانية جلالاً. رصعت به الامه الإلهية، ولكن الحكم على المتهم فى بحث قضائى قديم لا يستند إلا على أقواله وسلوكه ونتائجه.

أمر واحد لم يكن محل شك لدى يسوع. فقد عرف خاتمته ووقف وجهه نحو أورشليم. ثم أعلن لأتباعه قبل أن يفروا من حوله أن الموت سينزل به وشيكا.

وقد كان فى كل فترة المحاكمة هادئاً ولم يلجأ الى الاحتجاج، إلا مرة واحدة، حينما سأل. لماذا يُلطم عند عدم الأجابة على الإتهام؟. وفيما عدا ذلك ظل صامتاً كحملٍ أثناء الاعتداء على الأصول القانونية واستخدام الاساليب الوحشية. بل استسلّم لكل شئ صعب ومهين جداً، كالجلد والسخرية ووضع إكليل الشوك على رأسه ودق المسامير فى جسمه لتثبيته على الصليب.

أذعن لكل ما حل به، بدون تململ أو شكوي، بل عن ثقة وقبول، فالحكم صدر تبعاً لمشيئة الله الآب الذى وضع يسوع الإبن كل ثقته فيه حتى يخلص الناس، حتى ان بيلاطس الذى أعلن له يسوع عقيدته بوداعة وسكينة - عقيدته فى الفداء والمملكة الروحية السماوية والحكم فى اليوم الأخير- استطاع

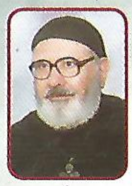
أن ينسبّها الى التعصُب اليهودى الأعمى، ولقد أصّر يسوع على عقيدته والموت جاثم على صدره فوق الصليب. وهو مثال لكل إنسان أمين الى النهاية.

ولا شك أن هذه الخاتمة التى تجلت فيها يد العناية الإلهية، كشفت أن هذا الفادى آمن بأن مملكته مملكة حقيقية، وأن كل الناس يجب أن يعيشوا الى الأبد تحت لوائها، فهو لم يعش ولم يمت عبثاً وبلا غاية. فما أجل وأقوى هذه العزيمة العجيبة وذلك الإيمان العملي وثماره الصبر والشكر.

وقد قصرّت دراستي على العنصر الإنساني، من تلك الحياة الباهرة. ومع ذلك فقد كان يبدو أمامي- فى كل مرحلة منها- الإيمان السامى بالحياة الأبدية، والايقان بوجود الله، والعقيدة الثابتة بتلك المملكة الروحية السعيدة الى الأبد. كل هذه الميزات الجليلة سمت (لا توجد كلمة أخرى تفى بالمعنى المُراد) الى محبة الفادى وكانت كما قيل فيها "أشعلت النار فى قلوب الناس، فجعلتها تحتقر الارضيات البائدة. وتحّن الى السمائيات الخالدة. فلنأخذ الدرس من المُخلص ونشكره على قبوله لكل نفس.

له الشكر والحمد إلي الأبد أمين

تم بحمد الله



هذه الدراسة:

- تتضمّن - لأول مرة - مناقشة قانونية، وتحليلية، لخطوات مُحاكمة السيد المسيح الباطلة قانوناً، والشهادات الزور، والإدعاءات الفاسدة، التى ثبت عدم صحتها منطقياً.
- ونقدمها لكل من يحاول استنكارها أو إنكارها، فى عالم اليوم !!
- ونستكمل بها ما سبق أن أعددّناه، ونشرتّه مكتبة المحبة، عن هذا الموضوع الهام، وهى الكتب التالية:

١- لماذا ظُلم فادى الخُطاه ولم يفتح فاه؟
٢- ثلاث دراسات عن الصليب والآلام.
٣- قصة الجلُجثُة.
٤- تأملات فى كلمات الحبيب على الصليب.
٥- هل قام المسيح حقاً من بين الأموات؟
٦- لماذا تم صلب وقيامة السيد المسيح؟
٧- هل حقاً تم صلب السيد المسيح ؟
٨- القول الصحيح لآلام السيد المسيح، للقديس بطرس السدًمنتى.
٩- ونبذات أخرى، للتوزيع بمناسبة عيد القيامة المجيد.

تطلب من مكتبة المحبة

٣٠ ش شبرا - القاهرة - مصر
تليفون وفاكس: ٢٥٧٧٧٤٤٨ - ٢٥٧٥٩٢٤٤ ت: ٢٥٧٥٨٢٦٢
E-mail: Mahabba5@hotmail.com

٥/١٤٠